Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية
العدد (104) المجلد (1) حزيران 2025

السعديون وتفاعلات القوة في المغرب خلال القرن السادس عشر معركة وادي المخازن انموذجا

م . د. رغداء عبد الامام فايز
جامعة البصرة

Abstract

: The article examines the military and political transformations in Morocco during the period from the fifteenth to the seventeenth centuries, addressing the Saadian state and its conflicts with competing powers (Portuguese, Wattasids, and Ottomans). It analyzes the Saadian military organization and warfare techniques, highlighting the Ottoman influence on its structure and armament, particularly the adoption of the crescent formation.

The research reveals the role of ethnic diversity (Andalusians, Turks, and European converts) in developing military capabilities, while monitoring the fluctuating role of local groups (Arabs, Zouaoua, and Cheragua). Through analyzing the Battle of Wadi Al-Makhazin (1578), the study illustrates the impact of firearms on mounted archer techniques and tactics, as well as documenting the decline of Andalusian influence in favor of Turks and Renegados.The article concludes by analyzing the challenges of armament and recruitment during the civil wars that followed Ahmad Al-Mansur's death in 1603, demonstrating the implications of Ottoman and European influences, along with internal divisions, on Morocco's military and political landscape.

Email: :
raghdaa.fayez@uobasrah.edu.iq

Published: 1- 6-2025

Keywords: السعديون، معركة وادي المخازن، المغرب، البرتغاليون، الاسحلة، العثمانيون.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يستعرض المقال التحولات العسكرية والسياسية في المغرب خلال المدة الممتدة من القرن الخامس عشر حتى السابع عشر، متناولا الدولة السعدية وصراعاتها مع القوى المنافسة (البرتغاليون، الوطاسيون، العثمانيون)، كما أنه يحلل التنظيم العسكري السعدي وتقنياته الحربية، مبرزا التأثير العثماني في هيكلته وتسليحه، لا سيما تبني التشكيل نصف الهلالي. ويكشف عن دور التنوع العرقي (الأندلسيون، الأتراك، العلوج) في تطوير القدرات العسكرية، مع رصد الدور المتقلب للمجموعات المحلية (الأعراب، زواوة، شراگة). وعبر تحليل معركة وادي المخازن (1578) ويوضح البحث تأثير الأسلحة النارية على أساليب وتقنيات الفرسان الرماة، ناهيك عن رصده تراجع دور الأندلسيين لصالح الأتراك والعلوج، ويختتم بتحليل تحديات التسليح والتجنيد خلال الحروب الأهلية التي أعقبت وفاة أحمد المنصور سنة 1603، مبينا تداعيات المؤثرات العثمانية والأوروبية والانقسامات الداخلية على المشهد العسكري والسياسي المغربي.

المقدمة

يعّد القرن السادس عشر مرحلة محورية في تاريخ المغرب، حيث برزت الدولة السعدية كقوة عسكرية وسياسية فاعلة في المنطقة، وسط تفاعلات معقدة بين القوى المحلية والإقليمية والدولية. خلال هذه المرحلة التاريخية، شكل الجيش السعدي أداة رئيسية في صراعات القوة، مدعوما بتأثيرات عسكرية خارجية، لاسيما النموذج العثماني الذي كان يعد أحد أكثر الأنظمة العسكرية تطورا في ذلك العصر.

تطور الجيش السعدي منذ نشأته على يد محمد القائم بأمر الله سنة 1511، مرورا بتحولاته الكبرى في عهد السلطانين عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور الذهبي، خاصة بعد تألقه إبان معركة وادي المخازن سنة 1578، التي شكلت نقطة تحول كبرى في تاريخ المغرب والمنطقة. إذ تأثرت القوات السعدية بشكل كبير بالنموذج العثماني، حيث تبنى تشكيلات عسكرية مستوحاة منه، كما ضم الجيش عناصر متنوعة، مثل الأندلسيين والعلوج، فضلا عن القبائل المحلية مثل جزولة وزواوة وشراگة.

شهدت معركة وادي المخازن مواجهة حاسمة بين الجيش السعدي والقوات البرتغالية بقيادة الملك سيباستيان، مدعومة بالمطالب بالعرش المغربي محمد المتوكل. اذ كانت هذه المعركة حدثا محوريا أظهر براعة السعديين العسكرية وقدرتهم على التكيف مع التحديات الإقليمية والدولية، وأعادت تشكيل موازين القوى في المنطقة، مع تداعيات عميقة على غرب المتوسط.

تكمن اهمية البحث في دراسة مرحلة حكم السعديين من خلال فهم تفاعلات القوة وتأثيراتها على المغرب، لاسيما ان السعديون الذين حكموا المغرب في القرن السادس عشر كانوا قوة مركزية مهمة وتعد مدة حكمهم حافلة بالتحديات الداخلية والخارجية.

1. نظرة عامة موجزة عن المدرسة العسكرية العثمانية

كان البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر أحد الساحات الرئيسة التي شهدت مواجهات مباشرة بين إسبانيا والدولة العثمانية، وتراجع النفوذ الإسباني في المنطقة بشكل ملحوظ بعد أن كان يمتد حتى طرابلس الغرب، وبحلول منتصف القرن، وأصبحت وهران أقصى نقطة شرقية تحت السيطرة الإسبانية، ولم تتمكن حتى انتصارات معركة ليبانتو سنة 1571 [1] أو احتلال مدينة تونس سنة 1573 من عكس هذا التراجع[2].

وعلى أطراف هذه المنطقة، اتبع الوجود البرتغالي مسارا مشابها حيث أعقب مرحلة التوسع الأولى خلال العقد الأول من القرن السادس عشر وضع دفاعي، اقتصر خلال النصف الثاني من القرن نفسه على السيطرة على سبتة وطنجة ومازاغان. وشهدت العلاقات بين البرتغال والمغرب مواجهات مستمرة، تمثلت غالبا في كمائن ومناوشات. أما المواجهات الأكبر، مثل الحصارات والمعارك المباشرة، فقد تطلبت تنظيما عسكريا أكثر تطورا.

يتيح لنا دراسة النظام العسكري العثماني المتطور فهم مدى تأثيرهم على المؤسسة العسكرية للسعديين في المغرب. فقد نجح العثمانيون في بناء قوة عسكرية متميزة خلال المدة الممتدة من بداية القرن الرابع عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (1300–1453)، مما جعل نموذجهم العسكري مصدر إلهام للقوى الإسلامية المعاصرة لهم. واعتمدت هذه القوة على ثلاث فئات عسكرية رئيسية:

1- **الآقنجي:** وهم المتطوعون غير النظاميين الذين كانوا يحصلون على نصيب من الغنائم[3].

2- **التيماريون:** وهم جنود مُلزَمون بالخدمة العسكرية مقابل حصولهم على أراضي تسمى "**تيمار**"[4].

3- **قوات الحراس أو عبيد الباب (Kapıkulu Ocakları):** وهم جنود نظاميون يشكلون أساس الجيش العثماني ويتبعون للسلطان بشكل مباشر، تم تجنيدهم عبر نظام "**الدوشيرمة**" [5]، الذي أُدخِل في عهد السلطان مراد الأول (1362–1389) وبايزيد الأول (1389–1402). وشملت هذه الفئة نخبة الفرسان المُجهَّزين "**السباهية**" وكذلك المدفعيين[6].

هذا التنظيم العسكري المتقدم ساعد العثمانيين على بناء إمبراطورية قوية ومؤثرة في المنطقة.

2 . الجيش السعدي

شهد الجيش السعدي [7] منذ تأسيسه عام 1511 على يد محمد القائم بأمر الله[8] تطورا ملحوظا في تركيبته وتنظيمه. بدأت نواته الأساسية بقبائل جزولة ومعقل ، ثم توسعت مع اتساع رقعة الدولة[9]. وفي عهد السلطان محمد الشيخ المهدي، دخلت عناصر جديدة كالأندلسيين والعلوج[10] الذين أصبحوا ركنا أساسيا في القوات العسكرية[11].

وفي مدة حكم عبد الله الغالب[12] تميز الجيش بتنظيم عسكري قائم على تقسيم الفرق وفق انتماءاتها العرقية والاجتماعية، حيث شكلت كل عصبية وحدة مستقلة. وتعزز دور الأندلسيين والعلوج والأتراك خلال عهد عبد الملك المعتصم حتى أصبحوا القوة الضاربة في الجيش. كما أنه قام بإعادة تنظيم الجيش النظامي بشكل كامل، حيث طبق نظام التقسيم إلى تشكيلات على غرار الجيش العثماني، مع استخدام مصطلحات تركية. فعلى سبيل المثال، أصبحت وحدات حرس السلطان، التي كان المغاربة يطلقون عليها اسم "**المخزنية**" أو "**أهل الركاب**"، تعرف وفقا لتخصصاتها باسم: بندقدار، بلبدروش، بوبياك، بياك، صُلاك، وغيرها. وترتبط هذه المسميات بتشكيلات الجيش الانكشاري. كما بدأ إطلاق المصطلح التركي "**سباهي**" الذي تحور إلى "**الصبايحية**" على الفرسان من الرماة المسلحين بالبنادق. وقد بلغ التنظيم العسكري ذروة تطوره في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي[13]، حيث انقسم الجيش إلى فرق نظامية وغير نظامية. ضمت الكتائب الرئيسية قوات من سوس وشراگة والأندلسيين والعلوج، إضافة إلى كتائب أصغر مثل زواوة والسودانيين. وتميز الجنود النظاميون، المعروفون بالمخزنية، بتلقيهم دائما رواتب من خزينة الدولة في السلم والحرب، مع بقائهم في حالة استعداد للحروب التي قد تنشأ[14]. يعود هذا المصطلح إلى فترة الموحدين، وتشير أصوله إلى الحكومة المركزية أو حرس السلطان أو جيشه[15].

ولكن في كل الأحوال، كانت هناك نية واضحة لإنشاء فرقة عسكرية تحت أوامر السلاطين السعديين.

ان التشكيل الأساسي لقوات المخزنية كان يعتمد بشكل رئيسي على الأتراك والعلوج. وكان هناك تفضيل واضح للفرسان على حساب المشاة، حيث كان استخدام القوات الراجلة نادرا نظرا لقلة تقدير قيمتهم العسكرية[16]. ومع ذلك، حوالي سنة 1553 وبالتزامن مع سقوط فاس في أيدي التحالف الوطاسي–العثماني تغيرت نسبة المشاة والفرسان، لصالح المشاة [17].

مثلت كتيبة سوس العمود الفقري التاريخي للجيش السعدي، بتركيبتها المتنوعة من العرب والأمازيغ[18]، في حين تشكلت كتيبة شراگة من قبائل شرق المغرب. أما كتيبة الأندلسيين فضمت المهاجرين الفارين من محاكم التفتيش، بينما جمعت كتيبة العلوج مرتزقة من مختلف أنحاء أوروبا، خاصة من شبه الجزيرة الإيبيرية[19].

وفيما يلي استعراض مفصل لمختلف فرق الجيش السعدي وتشكيلاته:

أ . الجنود الأندلسيون

منذ طردهم من شبه الجزيرة الإيبيرية، لعب الجنود الأندلسيون دورا بارزا في الجيوش المغربية منذ الربع الأول من القرن السادس عشر، وكانت هناك دار لصناعة الأسلحة والذخيرة تحت إشراف حرفيين أندلسيين[20]. وكان المدفعيين الذين كانوا يعملون لصالح السلاطين الوطاسيين[21] حصريا من الأندلسيين[22]. وبطبيعة الحال، استفاد الشرفاء السعديون من خدمات هؤلاء الصناع المهرة. وكان أشهرهم سعيد بن فرج الدغالي، وهو من مواليد غرناطة، والذي أصبح لاحقا مجاهدا بحريا، في تطوان ثم في سلا. خلال حكم السلطان السعدي عبد الله الغالب (1557-1574)، واقترح الدغالي تشكيل فرقة من الجنود الأندلسيين تحت قيادته، وفي عام 1562 ، جند حوالي أربعة عشر ألف أندلسي كان من المقرر أن يتم دفع أجورهم مقابل خدماتهم، وبالتالي تم دمجهم في المخزنية. تم تنظيم هؤلاء الجنود في فرقتين؛ حيث تم إيواء بعضهم في السهول الغربية لمراكش بينما تم إيواء الآخرين في فاس[23].

أدى التزايد التدريجي لأهمية الأندلسيين إلى تمكينهم من احتلال مناصب رئيسية في هرم الدولة السعدية. أصبحوا قوة موازية، قادرة على التأثير على العرش وحتى تحديد من سيعتليه من الأسرة الزيدانية[24]. تم إثبات قدرتهم على التدخل عندما تخلى الدغالي عن دعم محمد المتوكل خلال معركة الركن سنة 1576. وسعى الدغالي، وهو شخصية محورية في السياق العسكري والسياسي إلى تدبير مؤامرة على أحمد المنصور بعد معركة وادي المخازن، استهدفت تنحيته عن العرش لصالح ابن أخيه إسماعيل بن عبد الملك بمباركة من السلطات العثمانية، غير أن المنصور تمكن من إحباط هذه المحاولة والتخلص من الدغالي وابن أخيه محمد إلى جانب قائدين أندلسيين آخرين هما محمد زرقون الكاهية وأبو الفضل الغري[25]. وهكذا، وعلى الرغم من أهميتهم العسكرية، فقد الأندلسيون مكانتهم المهيمنة لصالح الجنود الأتراك، وقبل كل شيء، لصالح العلوج.

ب . العلوج والمسيحيون الأحرار

شكل العلوج الركيزة الأساسية للجيش السعدي، حيث برزوا كأفضل الوحدات العسكرية من حيث الكفاءة القتالية. وقد تميزوا في هذا المجال إلى جانب الأندلسيين، الذين اشتهروا بدورهم بمهارتهم الفائقة في استخدام الأسلحة النارية. فضلا عن ذلك، كانوا جزءا من الفرقة الأكثر نخبوية في "**المخزنية**"، حيث شكل كل من الأندلسيين والأتراك الحرس الشخصي للسلطان. وكان من الضروري اختيار الرجال المكلفين بحماية السلطان بعناية فائقة. فقد تم اغتيال محمد الشيخ المهدي[26] على يد اثنين من الأتراك العاملين في حرسه الخاص بقيادة ضابط يدعى حفصي، والذي كان العثمانيون قد وعدوه بمكافأة كبيرة بعد أنجاز المهمة على أكمل وجه[27].

كان الحرس الشخصي للسلطان السعدي عبد الملك المعتصم[28] يضم مئتان من العلوج، مجهزين بالبنادق والحراب في معركة وادي المخازن [29]. وكان يتألف من مئة جندي تركي ومثلهم من العلوج، وكان جميعهم من حملة البنادق[30].

بعد معركة وادي المخازن وقع في الأسر اعداد كبيرة من الأسرى واتخذه السلطان أحمد المنصور بشأنهم، قرارات متمثلة في إصداره الأوامر "**بأن يبحث عن كل الغلمان دون الخامسة عشرة من العمر ممن شارك في المعركة مع الملك سيباستيان، وأن يختنوا ويلبسوا اللباس المغربي. ورتب لهم عددا وافرا من الامتيازات وخلف ثلاثمائة منهم في فاس واصطحب الباقي معه إلى مراكش ليشتغلوا داخل القصر ويقوموا بخدمته الذاتية. وجعل جؤذر على رأس هؤلاء الغلمان. كما جعل على رأس خدام القصر القائد إبراهيم السفياني**"[31]. علاوة على ذلك، وضع أحمد المنصور الثقة المتزايدة في العلوج، معتبرا إياهم من "**من خيرة الجنود فكان له (المنصور) فيهم كبير الثقة يفضلهم على باقي الجند وأوكل إليهم أمر حراسة داره**"[32]. وبالنظر إلى وضعهم كمعتنقين للإسلام وافتقارهم إلى العصبية القبلية أو العائلية، كان من مصلحتهم ناهيك عن بقائهم على قيد الحياة أن يكونوا في خدمة السلطان.

أما المسيحيون الأحرار، فقد ظهروا في بداية القرن السادس عشر. وهناك حقيقة مثيرة عن هويتهم. فخلافا للاعتقاد السائد، لم يكونوا أوروبيين اعتنقوا الإسلام مثل العلوج، بل كانوا في الواقع مجموعة من القراصنة والمغامرين الذين وصلوا إلى المنطقة نتيجة مفاوضات بين السلاطين السعديين وبعض الممالك الأوروبية. وعمل هؤلاء كمرتزقة محترفين، وهو دور كان شائعا في أوربا آنذاك. وقد حافظوا على هويتهم الثقافية الغربية، متمسكين بعاداتهم وأزيائهم الأوروبية. كما أنهم تولوا مسؤولية المدفعية بشكل رئيسي، إضافة إلى مهاراتهم في استخدام مختلف أنواع الأسلحة النارية[33]. وبالتالي، لم يكونوا مختلفين عن العلوج والأتراك الذين خدموا السلاطين السعديين خلال فترة حرجة بشكل خاص من تاريخ الدولة السعدية، والتي يمكن وصفها بأنها فترة فوضى سياسية ومدنية وعسكرية مروعة.

ج . جزولة

كانوا بربرا من قبيلة إيلالن، تم تجنيدهم من جنوب المغرب ناحية تارودانت، في منطقة الأطلس الصغير. شكلت هذه القبيلة اتحادا كبيراً امتدت أراضيه من جبال تارودانت حتى إقليم حاحا، جنوب آسفي[34].

لا يمكن الحديث عن هؤلاء الجنود القبليين دون ذكر التوترات العرقية والاجتماعية بينهم وبين باقي مكونات الجيش السعدي. فعندما تعرض أحمد المنصور لاحقا أخو عبد الملك المعتصم، لكمين في منطقة تارودانت في يوليو 1576 ، كان على الأرجح يقاتل جزولة. وقد كان مقاتلو هذه القبيلة في الصفوف الأمامية إبان معركة وادي المخازن، جنبا إلى جنب مع الأندلسيين الذين لم يعودوا موضع ثقة

كما كانوا من قبل. ويبدو أن أهمية جزولة قد تراجعت نظرا لقلة خبرتهم العسكرية وضعف استعدادهم للحرب، وكذلك بسبب عدم الثقة الناجم عن دعمهم لمحمد المتوكل. وتم إدراج جميع الفرق الأخرى، مثل جزولة، تحت المسمى العام الأعراب، الذين لم يكن يُتوقع منهم الكثير[35].

د . زواوة وشراگة والأتراك

تعد زواوة إحدى فروع قبيلة كتامة البربرية، وكان مجال عيشهم بين تونس وفاس. اشتهروا بمهاراتهم العسكرية، وعُرفوا بكونهم قوات مرتزقة في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تعاونوا مع فرق الإنكشارية في جمع الضرائب والغرامات من السكان المحليين[36]. وعندما توجه السلطان السعدي عبد الملك المعتصم عام 1576م نحو المغرب لاستعادة العرش بدعم عثماني. حيث يذكر أن جيشه تكون أساسا من قوات قوامها أربعة آلاف تركي من الرماة المهرة والمدربين جيدا من أصل تسعة آلاف جندي تركي، معظمهم من شراگة، والباقي من زواوة، وألفان من الفرسان. لذلك، لم تكن هذه القوات مجرد جنود من الحامية النظامية للجزائر العثمانية بل أيضا مرتزقة خدموا فيها بانتظام "**المغاربة من زواوة وشراگة، الذين يعيشون في أراضي تلمسان ومناطق حدود الجزائر، هم محاربون يتمتعون بمهارة عالية في القتال**"[37].

عند توجه السلطان أحمد المنصور نحو مراكش بعد معركة وادي المخازن "**دخلها في مطلع سنة 1579، واحتفل السكان به أيما احتفال، ذلك بأنه جاء في ركابه ألفان وخمسمائة نصراني، من جملتهم الغلمان المرتبون لخدمة دار المخزن، وأربعة آلاف أندلسي، وألفان من الأتراك، وأربعة آلاف من زواوة ومثلهم من شراگة، وألفان من الصبايحية...، والجميع على درجة رفيعة من المرتب والمهارة في استعمال سلاح تخصصه**"[38]. ويورد أيضا حادثة تاريخية متمثلة في كيفية تخلص أحمد المنصور من جنود زواوة. بدأت الأحداث عندما منح السلطان امتيازات للأندلسيين وعيّن العلج منصوريكو (من مواليد قرطبة) قائدا عليهم، وكلفهم بجباية الغرامات من الأعراب. شعر جنود زواوة، الذين كان عددهم يتجاوز عشرة آلاف، بالتهميش بسبب المعاملة التفضيلية للأندلسيين. ليقرروا على إثرها عام 1581 التمرد في مراكش ومبايعة عبد الله برانكينيو (حفيد سلطان الدولة السعدية محمد الشيخ المهدي 1540 – 1557) كسلطان جديد، متذرعين بالتأخر في صرف رواتبهم. وعندما علم أحمد المنصور بمخططهم، دبر خطة ذكية للتخلص منهم، اذ قام باستدراجهم عبر إظهار الثقة بهم وجعلهم أول من يستلم رواتبهم، وأمر بتوزيع الرواتب في قاعة خاصة بالقصر، حيث يدخل الجنود من باب ويخرجون من آخر، مع منع حمل السلاح، وهكذا تمكن من قتل ثمانية آلاف من جنود زواوة في وقت وجيز على يد الأتراك والأندلسيين وشراگة، متفاديا بذلك خطر نشوب فتنة كبرى في البلاد[39]. في الواقع، بعد مذبحة مراكش، لم يعد هناك أي ذكر لاستخدام زواوة من قبل السعديين.

عرف شراگة وهم أيضا مرتزقة قادمون من المجال الممتد من شرق تونس إلى تلمسان، وضعا مشابها لحالة زواوة. بعد حوالي أربع سنوات من تمرد زواوة، حيث اندلعت انتفاضات جديدة، ولكن الوضع بدأ يبدو وكأنه استقر نوعا ما. ومع ذلك، بعد عقد من الزمن، اندلعت ثورة جديدة في عام 1593، عندما عاد مولاي الناصر، شقيق محمد المتوكل، الذي كان قد هُزم في معركة وادي المخازن، من منفاه في إسبانيا وجمع جيشا صغيرا واحتمى بتلال دبدو، تبع ذلك اشتباك مع قوات الشيخ المأمون بن أحمد المنصور (ابن احمد المنصور)القادمة من فاس بقيادة إبراهيم بن القائد كتيريس ومحمد بن إبراهيم بن بجة، كان النصر فيها حليفا للناصر بسبب انتفاضة شراگة وانضمامهم إلى جيشه[40]. وتُظهر حادثة أخرى وقعت عام 1610 ، خلال الحروب الأهلية التي مزَّقت الدولة السعدية، أن هذا الولاء غير المستقر يبدو أنه كان سمة مميزة لشراگة[41].

شكل الترك – إلى جانب العلوج والأندلسيين – جزءا أساسيا من الجيش السعدي، وقد تم تضمين زواوة وشراكة أحيانا في هذه التسمية من قبل بعض المؤرخين الأوربيين، بينما كان آخرون يفردون لهم حيزا خاصا بهم عند الإشارة إليهم[42] وأصبح الأتراك جزءا دائما من المخزنية، وكانت زواوة أيضا جزءا من القوة نفسها خلال عهد عبد الملك المعتصم[43].

أصبح التأثير العثماني على تنظيم الجيش السعدي بارزا بعد أن تولى عبد الملك المعتصم حكم الاسرة السعدية ، وكانت فرقة الأتراك هي أول وأهم مجموعة في جيش عبد الملك. وعلى الرغم من أن أحمد المنصور أعاد بعض التوازن بين الأتراك والأندلسيين، ومجموعات أخرى مثل أهل سوس وعرب الخلط، إلا أن تنظيم الجيش احتفظ بالكثير من خصائصه التركية[44]. وبالتالي، من اللافت للنظر كيف أن رسالتين أرسلهما أحمد المنصور، الأولى إلى أتراك الجزائر والثانية إلى الجيش السعدي في تمبكتو بعد فتح السودان الغربي، تظهران تقريبا ترتيب نفس الرتب العسكرية والألقاب[45].

إن استخدام المصطلحات المأخوذة من التسلسل الهرمي العسكري العثماني هو دليل آخر على التأثير العسكري للباب العالي. وأول مثال على ذلك هو حرس عبد الملك إبان معركة وادي المخازن، والذي كان يتألف من "**خمسين تركيا من غلمان الركاب الخاصين به**"[46]، أي حرسه الشخصي ومرافقوه، حيث تمت الإشارة إليهم باستخدام مصطلحات عسكرية معثمنة، مثل البياك والسولاق ولبردروش، الذين يعملون كحراس[47]، وهي تقابل البياك والسولاق من حرس السلاطين العثمانيين. كما أن تسلسل الرتب العسكرية في الجيش السعدي على عهد أحمد المنصور حمل تسميات عثمانية، مثل الباشوات و"**الكواهي والمقدمين والباشوظات وبلكباشيات والضباشيات وجمهور ولضاش**"[48].

ومن العادات الأخرى المأخوذة من الأتراك، استخدام أحمد المنصور مظلة من الديباج كان يتولى حملها مولاه القائد برويز والموالي له رتبة عندما يكون السلطان راكبا، أما في الحالات التي يمشي فيها المنصور

على قدميه، مثل ذهابه إلى المسجد الجامع، أو عند توجهه إلى قصوره، أو حين يتنزه في بستان "**المشتهى**" المتصل بقصر البديع، فإن القائد برويز هو من يتولى حمل المظلة فوق رأس السلطان[49].

كانت المظلة جزءا من منظومة سلطانية متكاملة تتضمن خيمة مطرزة بداخلها محفة أيضا. وهو ما أشار إليه احد الباحثين عند حديثه عن لقاء محمد الشيخ المهدي لأخيه أحمد الأعرج عقب هزمه له وسيطرته على مراكش، حيث أقام معسكره "**على ضفة الوادي في انتظار أخيه، وجلس في فسطاط رائع محاطا بجميع حظايا حرسه. كان جالسا على مسطبة خشبية بشكل تخت على الطريقة التركية مغلقة من جميع الجوانب بحيث لا يمكن أن يرى ولا أن يضرب إلا من أمام بيده خنجر وتحت قميصه زرد، وكان رجاله مصطفين في كلا الجانبين تاركين ممرا طويلا عريضا، بحيث يراه الذين يأتون إليه من مكان بعيد**"[50].

لقد كان محمد الشيخ المهدي باعتباره الطرف المنتصر يجلس في وسط هذه المنظومة المركبة، محمياً بالمظلة من أعلى، وجالسا على المحفة الخشبية المحصنة من جميع الجوانب. وقد صُممت هذه المنظومة بحيث لا يمكن رؤية الحاكم أو الوصول إليه إلا من الجهة الأمامية، مع حمله خنجرا ولبسه درعا تحت قميصه للحماية الإضافية. وكانت هذه المنظومة المتكاملة تمثل تبنيا للنمط العثماني في إظهار الهيبة السلطانية وتوفير الحماية للحاكم[51].

هناك إشارة موجزة إلى المحفة حيث ذكر أوخيدا استخدام عبد الملك المعتصم لها ليُظهر نفسه لجيشه قبل معركة وادي المخازن[52]. خصوصا وأنه كان مريضا بشدة، وربما كان مسموما، ولذلك سافر من سلا – حيث تدهورت حالته – ممتطيا صهوة جواده أحيانا وعلى متن محفة أحيانا أخرى[53].

هـ . الفرسان

يمكن تقسيم وحدات الفرسان بالجيش السعدي إلى مجموعتين رئيسيتين، إحداهما مدمجة في المخزنية بينما كانت الأخرى – وهي الأكثر عددا – ذات طابع إقطاعي. كانت المجموعة الأولى تتكون في معظمها من الفرسان الرماة المسلحين بالبنادق. ومنذ العقد الأول من القرن السادس عشر، اختفى الفرسان الرماة بالأقواس من الوحدات المغربية[54]، ولكن الإشارات الأولى إلى الفرسان الرماة الذين يحملون نوعا جديدا من الأسلحة تعود إلى حوالي 1545 [55]. يطلق عليهم اسم "**إسباقي**"[56]، و"**الصبايحية الحاملين للإسبانگوات**"[57]، وكلها متغيرات للمصطلح العثماني سباهي الذي يشير إلى فرسان الكابي كولو النظاميين، وعلى الرغم من عدم وجود تواز مباشر من حيث التسليح، لأن الحالة العثمانية تتعلق بفرسان مدرعين، إلا أنها نفس نوع الخدمة العسكرية المأجورة.

كان الفرسان الرماة من المسلحين بالبنادق شائعين في أوربا، ولعل هذا هو السبب الذي جعل وحدات الصبايحية السعدية تتكون من الأندلسيين والعلوج الذين كانوا أكثر دراية بالممارسات الحربية الأوروبية.

ووفقاً للتقديرات كان هناك عدد كبير من اولئك الفرسان في مخزنية فاس ومراكش [58]. وقد بقيت هذه الوحدات جزءا من الجيوش السعدية خلال فترة الاضطرابات الأهلية في أوائل القرن السابع عشر، حيث وصل عددهم إلى ألفي فارس في عام 1607. وكانت الصعوبات قد تزايدت في تجنيد الجنود لا سيما انها تزامنت مع غياب أي ذكر للفرسان المسلحين بالبنادق[59]. ومن المثير للاهتمام أنه في الوقت نفسه، كان هناك انخفاض ملحوظ في جودة البارود المصنوع في المغرب، إلى درجة أنه في عام 1609 كان يتم استيراده من أوروبا [60]، وهو واقع مروع للدولة السعدية التي كانت تمتلك منشآت لإنتاج البارود في مراكش منذ عام 1549[61] .

نُظم الفرسان السعديون نظام مشابه لنظام التجنيد العثماني التيمار، حيث انتشروا في مناطق مختلفة، ويظهر تباين في الروايات التاريخية حول نظام رواتب الفرسان في الجيش السعدي. فالبعض يذهب إلى أن هؤلاء الفرسان لم يكونوا يتلقون رواتب ثابتة ومنتظمة، واقتصر الأمر على تزويدهم بالمؤن أثناء العمليات العسكرية فقط من قبل ممثلي السلطة المحليين[62] ، يقدم اخرون رواية مختلفة تماما. حيث يشير إلى أن الفرسان وعلى غرار باقي تشكيلات الجيش السعدي كانوا "**يتقاضون رواتبهم بانتظام، سواء كانوا في حالة حرب أم في حالة سلم، وظلت أجورهم تدفع لهم دفعة واحدة، كل أربعة أشهر، مشفوعة بنصيب من القمح والشعير**" [63] . بينما ذكر اخرون أن السلاطين السعديين كانوا يجندون فرقا عسكريا من الفرسان والمشاة لجبي الضرائب والغرامات من الأعراب والبربر، حيث "**تكون نفقتهم على أهل البلاد. ويستفيدون من ذلك فوائد كبيرة، فضلا عما يظل جاريا عليهم من رواتبهم في مراكش**"[64] .

وخلال المدة التي امتدت في الربع الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، شهد نظام التجنيد العسكري السعدي تنظيما جغرافيا دقيقاً. فقد كانت عملية تجنيد القوات قد تركزت بشكل أساسي في ثلاث مناطق رئيسية، إقليم تامسنا [65] ، وأراضي فاس، فضلا عن المنطقة الممتدة من تونس إلى تلمسان[66] .

وفيما يخص ملابس الفرسان فقد ارتدى الفرسان ملابس بسيطة كالقمصان والعباءات، مع رماحهم ومهاميزهم فقط، وكانوا خفيفي التجهيز [67]. ورغم بساطة عتادهم وعدم ارتدائهم دروعا او خوذات لأنها تعيق حركتهم بالرماح ، فإن ذلك لم يقلل من شأنهم كفرسان. و يبرز التباين الواضح بين منطقتين رئيسيتين، الغربية والشرقية، ففي المنطقة الغربية، التي تضم فاس ومراكش، اعتمد المقاتلون على رماح أقصر يبلغ طولها خمسة وعشرون شبرا، مصنوعة من أخشاب المُرّان المحلية والدردار المجلوبة من أوربا والمعروفة بمتانتها، حيث أن الرمح الواحد منها يباع بعشرين دينارا إن كان مصنوعا من قلب الخشب. أما في المنطقة الشرقية، الممتدة من تلمسان إلى برقة، فقد استخدم المحاربون رماحا

أطول يتراوح طولها بين أربعين وخمسين شبرا، تميزت بأطراف حديدية مزدوجة تزيد من فعاليتها في القتال، واتسمت المعدات الدفاعية بصناعة الدروع من جلد الجاموس، في حين تم الاعتماد في غالب الأحيان على السيوف المستوردة من أوروبا نظرا لجودة فولاذها وصناعتها. وفيما يتعلق بالتكتيكات العسكرية، طور الفرسان أسلوبا فريدا يعتمد على الكر والفر والمناورة السريعة، متجنبين المواجهات المباشرة والمفتوحة، مفضلين القتال في مجموعات صغيرة متفرقة. وخلال المعارك ضد القوات الأوروبية، برعوا في استهداف الخيول كاستراتيجية فعالة، كما تميزوا بمهارة خاصة في استخدام الرماح أثناء التراجع. وقد عرف المغرب تطورا تقنيا تمثل في بداية استخدام الأسلحة النارية، خاصة في منطقة تلمسان، إلا أن هذا التحول واجه مقاومة ثقافية من المجتمعات المحلية التي فضلت الاستمرار في استخدام الأسلحة التقليدية، معتبرة أنها توفر مرونة أكبر في القتال وتتناسب مع أساليبهم القتالية المعتمدة[68] . هذا التمسك بالأسلحة التقليدية عكس تكيفا استراتيجيا مع طبيعة المعارك في المنطقة وحافظ على الأساليب القتالية الموروثة.

تضمنت هذه الفرقة نوعا آخر من الفرسان الأعراب، الذين تم وصفهم: "**ومنهم فرسان يحملون القسي ويستعملونها بمهارة، لكنهم لا يستعملون القاذفات النارية ولا يحبونها أصلا. فإذا أرادوا التناوش أزالوا الغطاء عن سروج خيولهم ليكونوا أكثر حرية ولا تزعجهم الريح في حركاتهم. ويتباهون بامتلاك أنفس العُدد ولا يذهبون بدونها. وهناك من الفرسان من يحمل ست حراب أو سبع، ومنهم المهرة الذين يستطيعون إصابة قعر صحن من بعد أربعين قدما. وهم يجرون بأقصى سرعة، وتدور خيولهم بحذاقة لا تتصور**" [69]. وبالنظر إلى رواية اخرى "**من هذا العدد الكلي، يمكن اعتبار العُشر فرسانا**" [70] ، هذا يعني أن الفرسان من الأعراب شكلوا الجزء الأكبر من الفرقة السعدية المحمولة. ومع ذلك، يصعب تحديد حجمهم الحقيقي مع الأخذ في الاعتبار الصعوبات التي تنطوي عليها تقدير أعداد نوع من الفرسان الذين قاتلوا في تشكيلات متفرقة، خاصة عند مقارنتها بالتشكيلات المتراصة للأوروبيين.

قد يكون التفاوت بين المشاة والفرسان ملحوظا بالفعل حتى لو لم يكن الفارق كبيراً على الرغم من الأهمية القليلة للمشاة، وبالتالي يقلل من تقدير أعدادهم[71] ، ومن المحتمل أن يكون هذا ناتجا عن حقيقة أن القوة العسكرية السعدية كانت لا تزال في طور البناء، ومع حلول الربع الأخير من القرن السادس عشر، شهد التوازن العددي بين الفرسان والمشاة في الجيش السعدي تحولا ملحوظا تجلى هذا التوازن بشكل واضح في تركيبة الجيش الذي قاده السلطان عبد الملك المعتصم في معركة وادي المخازن، حيث بلغ عدد الفرسان اثنين وعشرين ألف فارس، في حين وصل عدد المشاة إلى واحد وعشرين ألف مقاتل[72]. هذا يعكس تطورا مهما في موازنة القوة العددية بين الفرسان والمشاة.

و . الأعراب

من الضروري الإشارة إلى فئة الأعراب، وهم عناصر قبلية متميزة عن الجيش النظامي، إذ لم يتلقوا أي رواتب، ولم يتم تجنيدهم من قبل نواب السلطان أو ولاته إلا في حالات خاصة لدعم الجيش في مقابل إعفاءات من الوظائف المخزنية وإقطاعات[73] ، تميزوا بمهارتهم العالية في ركوب الخيل، واستخدامهم للأسلحة الخفيفة، فضلا عن أسلوبهم الفريد في القتال[74]، وانضم هؤلاء الرجال إلى صفوف الجيش بدافع الحصول على نصيب من غنائم المعارك. ونظرا لولائهم المتقلب نظر إليهم القادة العسكريون المحنكون بعين الريبة والحذر، ولعل تجربة السلطان عبد الملك المعتصم في معركة وادي المخازن عام 1576 خير شاهد على هذا الأمر، إذ بالرغم من انتصاره الباهر بفضل تحول ولاء الأندلسيين، إلا أنه أدرك بعمق مدى هشاشة الاعتماد على الأعراب، وتجلى ذلك بوضوح عندما سارعت القبائل المجاورة لساحة المعركة إلى نهب معسكر السعديين عندما لاحت في الأفق أولى بوادر انكسار جيش عبد الملك المعتصم تحت وطأة الهجوم البرتغالي الأول[75] .

3 . معركة وادي المخازن

شكلت معركة وادي المخازن نقطة تحول حاسمة في تاريخ العلاقات الدولية بين ضفتي البحر المتوسط. فقد جسدت هذه المعركة صراعا استراتيجيا امتدت آثاره لتشمل العالمين الإسلامي والمسيحي، وأسهمت في إعادة تشكيل موازين القوى في المنطقة بأكملها، ومنذ سقوط الأندلس، تحول المغرب إلى ملاذ آمن للمهاجرين الأندلسيين من المسلمين واليهود الفارين من محاكم التفتيش وعمليات الاضطهاد. وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، أصبحت أراضيه ساحة للجهاد والمقاومة ضد الأساطيل الإيبيرية، مما جعله هدفا مستمرا للهجمات البرتغالية والإسبانية.

اندلعت شرارة الأزمة عندما نشب صراع على العرش المغربي بعد وفاة السلطان عبد الله الغالب، فقد عين الأخير ابنه محمد المتوكل خلفا له، لكن عمه عبد الملك، الذي كان لاجئا في الجزائر، عارض هذا التعيين وبدعم من الدولة العثمانية، وتمكن عبد الملك من دخول المغرب وخوض سلسلة من المعارك الناجحة، مدعوما بأخيه أبي العباس أحمد وبانحياز الجنود الأندلسيين إلى صفه في معركة الركن شرقي مدينة فاس[76] ، لجأ محمد المتوكل أولا إلى إسبانيا طلبا للمساعدة، لكن رفضها دفعه للاستنجاد بالبرتغال عام 1577. فوجد طلبه آذانا صاغية لدى الملك البرتغالي دون سيباستيان، المتحمس لفكرة التوسع في المغرب، رغم محاولات عبد الملك للتفاوض وعرضه التنازل عن بعض الأراضي المحيطة بالثغور المحتلة من قبل البرتغاليين[77] .

شكلت معركة وادي المخازن التي وقعت في الرابع من اب 1578 نقطة تحول فارقة ساهمت في تغيير موازين القوى في منطقة غرب البحر المتوسط وأثرت بشكل عميق على مسار العلاقات بين المغرب ومحيطه المتوسطي. قاد هذه المعركة المصيرية الملك البرتغالي دون سيباستيان، المعروف بتوجهه

الكاثوليكي المتشدد وطموحه في إحياء النفوذ البرتغالي بالمغرب، الذي جمع جيشا ضخما بلغ تعداده ما بين ثلاثين ألف مقاتل وثمانين ألف مقاتل[78] ، ضم تشكيلة متنوعة من المرتزقة الأوروبيين (إسبان، إيطاليين، ألمان، إنجليز، فرنسيين وإيرلنديين) وزوده بترسانة كبيرة من المدفعية بلغ عددها سبعون وحدة[79].

سعى دون سيباستيان لتحقيق أهداف متعددة من هذه الحملة العسكرية، تمثلت في توسيع النفوذ البرتغالي، وتحقيق مكاسب اقتصادية من خلال السيطرة على حركة الملاحة والتجارة المارة بالساحل الأطلسي للمغرب نحو غرب إفريقيا[80] ، وتعزيز المكانة السياسية والعسكرية للبرتغال في المنطقة. استغل دون سيباستيان تحالفه مع السلطان المخلوع محمد المتوكل كذريعة لتنفيذ حملته العسكرية، متخذا من طنجة قاعدة لانطلاق قواته داخل الأراضي المغربية، واختار لمعركته الفاصلة سهل "**تامدة**"، الذي لا يبعد عن مدينة القصر الكبير إلا بنحو 15 كلم، في المنطقة المحصورة بين نهر اللكوس ووادي المخازن أحد روافده. وقد تم استدراجه إلى هذا الموقع بدهاء كبير من قبل عبد الملك المعتصم، الذي أمر أخاه أبا العباس أحمد بالتوجه على رأس كتيبة من الفرسان لهدم الجسر الروماني القديم الذي عبر منه الجيش البرتغالي وادي المخازن، بهدف منع أفراد الأخير من الفرار عبره في حال تراجعهم[81] .

شنَ دون سيباستيان هجومه على السلطان عبد الملك المعتصم وأخيه أحمد، لكن السعديين، التي بلغ تعداد جيشهم قرابة أربعين ألف مجاهد، تمكنوا من إلحاق هزيمة ساحقة بالجيش البرتغالي الذي حاول العديد من مقاتليه النجاة بأرواحهم عبر وادي المخازن، غير أن ارتفاع منسوب المياه في ذروة المد حال دون ذلك، فلقي الكثيرون منهم حتفهم غرقا، بينما وقع من تبقى منهم في الأسر بعد استسلامهم للجيش السعدي المنتصر[82] .

تباينت الروايات التاريخية في تحديد سبب وفاة كل من عبد الملك المعتصم ودون سيباستيان، بينما اتفقت على أن وفاة محمد المتوكل كانت نتيجة سقوطه من فرسه وغرقه في الوادي[83] . فيما يتعلق بعبد الملك المعتصم، أشار طبيبه اليهودي إلى أن وفاته نجمت عن مرض ألمّ به قبل المعركة [84] ، وهو الرأي الذي تبناه أيضا صاحب كتاب "**مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**" [85]. في المقابل، رجحت العديد من المصادر الأخرى أن وفاته كانت نتيجة تسمم، لكنها اختلفت في تحديد الفاعل؛ فبعضها أشار إلى أن قائد الأتراك رمضان العلج قام بذلك بتخطيط من العثمانيين بهدف السيطرة على المغرب[86] ، بينما أشارت مصادر أخرى إلى أن محمد المتوكل هو من دبّر التسميم بهدف إحداث فتنة في معسكر الجيش السعدي[87]. أما بالنسبة لدون سيباستيان[88]، فقد ذكر الطبيب اليهودي أن وفاته كانت نتيجة إصابته بجراح بالغة في الرأس والذراع، نافيا بذلك الرواية التي اشارت إلى أنه مات غرقا[89]، والتي

تبنّتها بعض المصادر الأخرى[90]. وهكذا ظلت أسباب وفاة كل من عبد الملك المعتصم ودون سيباستيان محل خلاف بين المؤرخين، بينما تُجمع المصادر على ظروف وفاة محمد المتوكل.

ساهم انتصار المغرب الكبير في معركة وادي المخازن في تحقيق نتائج بعيدة المدى على المستويين الداخلي والخارجي. فقد حصل المغاربة على غنائم وفيرة ومتنوعة، وتوّجوا سلطانا جديدا هو أحمد المنصور، الذي قاد البلاد إلى عصر من القوة الازدهار. كما عزز هذا النصر المدوي مكانة المغرب في الساحة الأوروبية، مما فتح أمامه آفاقا رحبة على الصعيد الدبلوماسي والتجاري والعسكري، وجعله لاعبا رئيسيا في المشهد الدولي آنذاك[91]. من جهة أخرى، كان لوفاة دون سيباستيان، الملك البرتغالي الشاب الذي لم يترك وريثا، تداعيات كبيرة على البرتغال. إذ أدّى فراغ العرش بعد وفاة عمه الكاردينال هنريكي الذي خلفه متخذا لقب "**هنري الأول**"، إلى وقوع الإمبراطورية البرتغالية تحت السيطرة الإسبانية، حيث دخلت في مرحلة من الاتحاد الإيبيري استمرت ستين عاما نصب خلالها فيليب الثاني ملك إسبانيا وحال دون سيباستيان ملكا على البرتغال تحت اسم "**فيليب الأول**" سنة 1581، مما غيّر مسار تاريخها السياسي والاستعماري[92]. وهكذا، شكلت معركة وادي المخازن نقطة تحول كبرى، ليس فقط للمغرب الذي تعززت مكانته، بل أيضا للبرتغال التي فقدت استقلالها لصالح إسبانيا لعقود طويلة.

نقطة أخرى يمكن الإشارة إليها هي تحليل تشكيلات ومعارك الجيش السعدي خلال القرن السادس عشر، حيث من الضروري أخذ النموذج العسكري العثماني في الحسبان، إذ شكل مرجعا رئيسيا لتنظيم وتطوير الجيش السعدي في تلك المدة. وقد تجلى تأثير هذا النموذج بشكل خاص في التشكيلات القتالية المبتكرة. ويُعد تشكيل الهلال من أبرز الاستراتيجيات العسكرية التي تم تبنيها، والتي تميزت بقدرتها الفائقة على تطويق العدو وتحقيق التفوق القتالي في ساحة المعركة[93].

اعتمد التنظيم العسكري العثماني على هيكلية مركزية محكمة، حيث يتموضع السلطان في قلب التشكيل، محاطا بقوات النخبة النظامية "الكابي كولو". وتتوزع القوات الأخرى بنمط دائري متناسق، إذ تنتشر قوات المشاة من الانكشارية على جانبي القيادة المركزية، مدعومة بوحدات المدفعية في مواقع محصنة استراتيجيا، بينما تتمركز فرق الفرسان السباهية على الأجنحة لضمان المرونة والقدرة على المناورة. أما القوات الإقطاعية المجندة بواسطة نظام التيمار فتنتشر على أطراف التشكيل لتنفيذ مهام التطويق، في حين تقوم القوات غير النظامية بدور مزدوج من خلال شن الهجمات الأولى لإرباك العدو في المقدمة، وحماية الخطوط الخلفية والعتاد في المؤخرة[94]. هذا التوزيع المدروس للقوات يعكس عمق الفكر العسكري العثماني وتأثيره على تطور الاستراتيجيات القتالية في المنطقة.

لقد أثبت هذا النظام العسكري المتكامل فعاليته من خلال التنسيق المحكم بين مختلف الوحدات القتالية، مما جعل منه نموذجا يُحتذى به في تنظيم الجيوش الإسلامية خلال تلك الحقبة. وقد تجلى هذا التأثير

بوضوح في تبني الجيش السعدي لهذه المنهجية العسكرية المتطورة، خاصة في تطبيق تشكيل الهلال الذي أصبح سمة مميزة للتفوق العسكري في القرن السادس عشر.

خاتمة

شهد المغرب في القرن السادس عشر تحولا جذريا في بنيته العسكرية، مواكبا صعود الدولة السعدية كقوة إقليمية بارزة. وتجلت أهمية هذا التحول بشكل خاص في معركة وادي المخازن عام 1578، التي مثلت نقطة تحول حاسمة في تاريخ المنطقة، وارتكز هذا التطور العسكري على ثلاث ركائز أساسية، الأولى تمثلت في تحديث التسليح، حيث انتشرت الأسلحة النارية عبر قنوات متعددة، أبرزها التجارة السرية خاصة مع الإنجليز وهجرة الأندلسيين والعلوج الحاملين للخبرات العسكرية الأوروبية المتقدمة. والثانية تجلت في تبني النموذج العثماني المتطور في التنظيم العسكري، مع تكييفه ليلائم الواقع المغربي، وهو ما ظهر جليا في تشكيل الهلال الشهير في معركة وادي المخازن. أما الثالثة فكانت إنشاء نواة عسكرية محترفة "**المخزنية**" مجهزة بأحدث الأسلحة ومدربة على أعلى المستويات.

تميز الجيش السعدي بتنوعه الفريد، حيث ضم عناصر متعددة كالأندلسيين والعلوج والأتراك والعرب والبربر من القبائل المحلية مثل جزولة، أو تلك القادمة من تونس أو الجزائر كزواوة. وقد برز هذا التنوع بشكل خاص في معركة وادي المخازن، التي نشبت إثر أزمة خلافة عقب وفاة السلطان عبد الله الغالب. أدى الانتصار الحاسم للسعديين في هذه المعركة إلى تعزيز مكانة المغرب في حوض البحر المتوسط، وفتح الطريق أمام عصر ذهبي جديد تحت حكم أحمد المنصور. غير أن هذا التطور العسكري حمل في طياته تناقضات عميقة. فمن جهة، عزز قدرات الدولة العسكرية وأتاح لها مواجهة التحديات الداخلية والخارجية بكفاءة عالية. ومن جهة أخرى، خلق توترات هيكلية تمثلت في ضعف الولاء بين صفوف الجنود، والصراع على النفوذ بين مختلف العناصر العسكرية، فضلا عن استنزاف الموارد في معارك متعددة.

وهكذا، فإن التحول العسكري في المغرب السعدي يمثل نموذجا فريدا للتحديث العسكري في العالم الإسلامي خلال القرن السادس عشر. فعلى الرغم من نجاحه في تحويل المغرب إلى قوة إقليمية مؤثرة، إلا أنه حمل في ثناياه بذور ضعف ساهمت لاحقا في تقويض أركان الدولة السعدية.

المراجع

[1]- عامر محمود علي، تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر- تونس) ، منشورات جامعة دمشق، 2008-2009، ص 60؛
Paul K Davis, 100 Decisive Battles : From Ancient Times to the Present, Oxford University Press, 1999, p.195.

[2]- ابن أبي دينار محمد القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993، ص. 196-197؛ أحمد توفيق المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965، ص. 399-400.

[3]- سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 22.

[4]- بالنسبة للتيمار الذي كانت تبلغ قيمة حد دخله الأدنى ستة آلاف آقجة (Akçe) وهي العملة الفضية الرئيسية في الدولة العثمانية، فإن صاحبه يلتزم بتقديم خدمة عسكرية مع فارس مسلح بشكل مماثل يُسمى جبه لو، وهو اسم مشتق من كلمة جبه التركية، المأخوذة بدورها من الكلمة المغولية گبه التي تعني درع واق من الزرد، هو نوع من الدروع الخفيفة المصنوعة من حلقات معدنية متشابكة يغطي الصدر والظهر. وبذلك، يمكن اعتبار التيمار نوعا من الإقطاع العسكري. انظر: سهيل صابان ، المصدر السابق ، ص 35.

Ian Heath, Armies of the Middle Ages, V. 2, Wargames Research Group Publication, Sussex, UK, 1984, p. 4.

[5]- بدأ العمل بالدوشيرمة في الدولة العثمانية أواخر القرن 14م، ويقوم هذا النظام على أخذ الفتيان المسيحيين، خاصة من البلقان، وتحويلهم إلى الإسلام تمهيدا لدمجهم في هياكل الدولة العثمانية العسكرية والإدارية وإعدادهم لخدمتها. ينظر:

David Westerlund , Ingvar Svanberg, Islam Outside the Arab World, Routledge, 1999, p. 140.

James L. Gelvin, ؛John K. Cox, The History of Serbia, Greenwood Press, London, 2002, p80

The Modern Middle East : A History, Oxford University Press, 2015, p.80.

Mesut Uyar, Edward J Erickson, A Military History of the ؛[6]- David Westerlund , Op.cit,p. 140

James L. Gelvin, The Modern Middle East : A History, Oxford ؛Ottomans, Praeger, 2009, p. 17

؛University Press, UK, 2016, p.80

عبد الله ذيب عبد الله محمود، "التنظيمات الإدارية للمؤسسة العسكرية العثمانية ما بين 1400م حتى 1600م"، دورية كان التاريخية، السنة 15، العدد 57،ايلول-2022، ص 91.

[7]- تعرف أيضا بالسلطنة الشريفة، وقد تلقب حكامها بالسعديين كما عرفوا باسم الزيدانيين. كانوا سلالة عربية حكمت المغرب من عام 1549 حتى 1659 م. أقاموا في البداية إمارة تشمل سوس وتافيلالت ووادي درعة، وأضافوا مراكش إلى نطاق سلطتهم في عام 1524 م، متخذين منها عاصمة لدولتهم. بعد إطاحتهم بالوطاسيين، قاموا بتوسيع نفوذهم حتى تومبوكتو وغاو ببلاد السودان الغربي في أواخر القرن السادس عشر. ومع ذلك، أضعفت الصراعات الأسرية عقب وفاة أحمد المنصور سنة 1603 والثورات سلطتهم في أوائل القرن السابع عشر، وفقدوا في النهاية كل السيطرة السياسية على المغرب في عام 1659 . ينظر: شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1977 ، ص 189 . عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006.

[8]- محمد القائم بأمر الله السعدي هو مؤسس الدولة السعدية في المغرب، حكم منطقة سوس وأجزاء من جنوب المغرب من 1510م إلى 1517م. ينحدر من أسرة شريفة تنتسب إلى آل البيت. برز دوره في فترة ضعف الحكم الوطاسي والتوسع البرتغالي على السواحل المغربية، حيث تم الاعتراف به قائدا عسكريا وممثلا سياسيا لمنطقة سوس. اتخذ لنفسه لقب "القائم بأمر الله"، وأسس لحكم أبنائه من بعده. انتقل من تدسي بالقرب من مدينة تارودانت بسوس إلى أفوغال من بلاد حاحة عام 1513م، وعين ابنه أحمد الأعرج خليفة له. توفي عام 1517م ودفن في أفوغال، ثم نقل رفاته لاحقا إلى مراكش، حيث أصبحت العاصمة الروحية والسياسية للدولة السعدية. ينظر :محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، الدار البيضاء، 1998 ، ص 17 ؛ أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5 ، دار الكتب، الدار البيضاء، 1997، ج5، ص. 6-14.

[9]- Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne, Hespéris-Tamuda, Nº XIII, 1972, p.63.

[10]- العلوج : هم من أصول المسيحيين الذين أسرهم قراصنة البحر في تطوان وسلا والذين اعتنقوا الاسلام. وتنطبق نفس الحالة على الهاربين من الثكنات العسكرية الإسبانية في سبتة ومليلية ومن جيش إفريقيا واللفيف الأجنبي المستقر بالجزائر.

https://www.habous.gov.ma/publicationss/157-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D

[11]- دييغو دي توريس ، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988، ص. 96-97.

[12]- ابو محمد عبدالله بن محمد ولقب بالغالب بأمر الله ولد في سنة 1526 في مدينة تاوردانت، وحظي باهتمام ورعاية كبيرة من والده ، كان يتحلى بصفات خاصة أهلته ان يكون الساعد الايمن لوالده محمد الشيخ وولي عهده الذي جعله حاكما على مدينة فاس، التي شهدت استقرارا سياسيا لم تشهده منذ ايام بني مرين ، استمر حكمه للدولة السعدية للمدة 1557-1574.ينظر: كاظم عبد نتيش، الدولة السعدية في عهد السلطان عبدالله الغالب1557-1574، محور للدراسات التاريخية ، العدد 18، 2016، ص248.

[13]- هو أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن محمد القائم بأمر الله، ولد بفاس سنة 1549، ثم هرب سنة 1558 إلى الجزائر رفقة أخيه عبد الملك المعتصم عقب تولي أخيهما عبد الله الغالب السلطة. ليعود سنة 1576 إلى المغرب رفقة المعتصم بعد هزيمة المتوكل قرب فاس. وفي سنة 1578 م شارك المنصور رفقة المعتصم في معركة وادي المخازن ضد المتوكل وحليفه ملك البرتغال دون سيباستيان، والتي انتهت بمقتل الملوك الثلاثة واعتلاء المنصور عرش أسلافه السعديين. لقب بالمنصور لتحقيقه النصر في معركة وادي المخا زن ، والذهبي لكثرة الذهب الذي إمتلئت به خزائنه بعد المعركة مقابل افتداء الأسرى . وقد اهتم المنصور بعد

هذا النصر ببناء جهاز إداري وسياسي متماسك وقوي، مكونا بذلك دولة قوية يدعمها جيش قوي تمكن من خلاله من توطيد أركان حكمه والقضاء على التمردات والثورات المناوئة. توفي المنصور سنة 1603 بمرض الطاعون الذي عصف بالبلا د مدة تسع سنوات 1598 – 1607 .ينظر محمد الصغير الإفراني ، المصدر السابق، ص3 17؛ أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا، ج5،ص89-97.

[14]- عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972، ص 43؛ أنطونيو دي صالدانيا ، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشنتوف، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2011، ص. 28-44؛ نبيل ملين ، السلطان الشريف: الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2013، ص. 292-293؛

Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines…, Op.cit, p.64.

[15]- David Nicolle, The Moors and the Islamic West 7th-15th Centuries AD, Osprey, London, 2001, p.24.

[16]- دييغو دي توريس ، المصدر السابق ، ص 90.

[17]- المصدر نفسه، ص 211.

[18]- Jamil M. Abun-Nasr, A History of the Maghrib in the Islamic Period, Cambridge University Press, New York, 1987, p. 215.

[19]- أنطونيو دي صالدانيا، المصدرالسابق، ص 37؛ نبيل ملين، المصدر السابق ، ص 293.

[20]- مارمول كربخال ، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989، ص 157.

[21]- الوطاسيون: سلالة تنتمي لبني مرين الزناتيين حكمت المغرب مابين (1472-1554م). خلفوا المرينيين الذين كانوا حجابا ووزراء لسلاطينهم وحكموا من فاس. انتهى حكم آخر سلاطينهم أبي حسون الوطاسي على يد السعديين بقيادة محمد الشيخ المهدي. ينظر: أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا، ج5، ص 28.

[22]- دييغو دي توريس ، المصدر السابق ، ص 147.

[23] - Mercedes García-Arenal, Los andalusíes en el ejercito sa'dí: un intento de golpe de estado contra Ahmad al-Mansûr al-Dahabí (1578) , Al-qantara, Vol. 5, Fasc. 1-2, 1984, p.179.

[24]- الأسرة الزيدانية: نسبة إلى جدهم زيدان بن أحمد الذي قدم به أهل درعة من الحجاز إلى المغرب. ينظر: أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا، ج5، ص 3.

[25]- عبد العزيزالفشتالي، المصدر السابق ، ص. 42-44؛ مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1، عيون المقالات، مراكش، 1994، ص. 48-51؛ محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص. 62 ؛ انطونيودي صالدانيا المصدر السابق ، ص 39؛ أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5 ، دار الكتب، الدار البيضاء، 1997، ص 64؛ ملين، المصدر السابق ، ص. 303-302؛

Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, 1905, p. 349 ; Fray Bautista, Chronica de la vida y admirables hechos de señor mouley Abdelmelech, Hespéris, T XXIV, 1986, p. 95-97.

[26]- محمد الشيخ المهدي: يمثل شخصية تاريخية فارقة في تاريخ المغرب، حيث وضع حجر الأساس للدولة السعدية وتولى قيادتها كأول سلاطينها في الفترة بين 1544 و1557م. تميز عهده بإنجازات عسكرية وسياسية بارزة، إذ نجح في تحرير معظم السواحل المغربية من السيطرة البرتغالية، وتمكن من القضاء على نفوذ الدولة الوطاسية. كما صمد في وجه التوسع العثماني، مدافعا عن استقلال المغرب حتى اغتياله من قبل العثمانيين عام 1557م. وبفضل قيادته المحنكة، استطاع توحيد المغرب تحت راية واحدة وتأسيس حكم مركزي قوي. ينظر: أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا، ج5، ص. 19-37.

[27]- مارمول كربخال ، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ج1، ص 49 ؛ أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص 26. الناصري، المصدر السابق ، ج5، ص 33.

[28]- عبد الملك المعتصم: هو أبو مروان عبد الملك المعتصم بن محمد الشيخ المهدي، سلطان سعدي حكم ما بين سنتي 1576-1578م. انتصر في معركة الركن شرقي فاس على ابن أخيه محمد المتوكل بن الغالب ما مكنه من اعتلاء عرش المغرب. توفي إبان معركة وادي المخازن، التي عرفت أيضا بـ "معركة الملوك الثلاثة" بسبب مقتل ثلاثة من الملوك خلالها. بعد المعركة، تم إعلان أحمد المنصور سلطانا على المغرب. ينظر: أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا، ج5، ص. 59-86.

[29]- Autor anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião à África - Crónica de Dom Henrique, Imprensa Nacional-Casa da Moeda, Lisboa, 1978, p.103.

[30]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, CVII, 1905, p.604.

[31]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص 40.
[32]- المصدر نفسه، ص 44.
[33]- خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية (1603-1613)، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1997، ص. 42-64.
[34]- Autor anónimo, Crónica do Xarife Mulei Mahamet e d'El-Rei D. Sebastião, 1573-1578, Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines..., Op.cit, ؛Europress, 1987, p.47 p.63.
[35]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص 26؛ خورخي دي هنين، المصدر السابق ، ص 31؛ Anónimo, Crónica do Xarife Mulei Mahamet..., Op.cit, p.47
[36]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص. 53-54؛
[37]- Anónimo, Crónica do Xarife Mulei Mahamet..., Op.cit, p.44 ؛ أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق، ج5، ص. 62-63. نبيل ملين، المصدر السابق ، ص 116.
[38]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق، ص 44.
[39]- المصدر نفسه ، ص. 52-54.
Jeronimo De Mendonca, Jornada de Africa, V.2, Escriptorio, Lisboa, 1904, pp.49-50.
[40]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق ، ص. 171-172؛ صالدانيا، المصدر السابق ، ص151-156؛ عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006، ص 198.
[41]- يروي خورخي دي هنين تفاصيل هذه الحادثة، مشيرا في البداية إلى الاضطرابات السياسية التي كان يعرفها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور، ثم ينتقل بعدها إلى ذكر أطوار الخيانة التي أدت إلى مقتل الأمير أبي فارس بن أحمد المنصور على يد ابن أخيه عبد الله بن محمد الشيخ المأمون. بدأت الأحداث باتفاق بين العم وابن أخيه على أن يتولى أبو فارس عرش مراكش مدى حياته، ويكون مولاي عبد الله وريثا له. لكن مجموعة من شراكة حاولت إثارة الفتنة بين الأميرين، فعرضوا أولا على أبي فارس الانقلاب على ابن أخيه، وحين رفض، ذهبوا إلى عبد الله وادعوا كذبا أن عمه يخطط للإطاحة به. صدق عبد الله مزاعمهم دون تحقق، ليقوم بعدها بقتل عمه خنقا. انظر: هنين، المصدر السابق، ص. 108-109.
[42]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome II, 1925, pp. 224-225.
[43]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 35.
[44]- المصدر نفسه، ص. 200-205.
[45]- عبد الله كنون ، رسائل سعدية، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1954، ص 92.
[46]- Anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião…, Op.cit, p.103.
[47]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.603.
[48]- عبد الله كنون، المصدر السابق، ص 118.
[49]- عبد العزيز الفشتالي، المصدرالسابق ، ص 203.
Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.603.
[50]- دييغودي توريس، المصدر السابق، ص 94؛ مارمول كربخال، المصدر السابق ، ج1، ص. 466-467.
[51]- دييغو دي توريس، المصدر السابق، ص 94.
[52]- Anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião…, Op.cit, p.103. De Castries (H.), Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.603.
[53]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome I, 1918, p.315 ؛Jeronimo De Mendonca, Jornada de Africa, V.1, Escriptorio, Lisboa, 1904, p.68.
[54]- Weston F Cook Jr,The Hundred Years War For Morocco: Gunpowder And The Military Revolution In The Early Modern Muslim World, Westview Press, Boulder, 1994, p.151.
[55]- دييغو دي توريس، المصدر السابق، ص 97.
[56]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.604.
[57]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق، ص. 43-44.
[58]- المصدر نفسه ،ص. 39-44.
[59]- خورخي دي هنين، المصدر السابق ، ص. 85-105.
[60]- المصدر نفسه ، ص 138.
[61]- Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines…, Op.cit, p.71.
[62]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, p.20.

[63]- مارمول كربخال، المصدر السابق ، ج1، ص. 494-495.
[64]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص. 52-53.
[65]- مارمول كربخال، المصدر السابق ، ج2، ص 127.
[66]- أنطونيو دي صالدانيا ، المصدر السابق ، ص. 53-54.
[67]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, p.26.
[68]- مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ج1، ص. 112-114.
[69]- المصدر نفسه ، ج1، ص 113.
[70]- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.593.
[71]- دييغو دي توريس، المصدر السابق ، ص 90.
[72]- Luís Costa Sousa, A Batalha de Alcácer Quibir 1578 : Visão ou Delírio de um Rei?, Tribuna. Lisboa, 2009, pp. 70-73؛
موسى المودن ، معركة وادي المخازن بالقصر الكبير–معركة المصير، مجلة ليكسوس، مجلد1، عدد 35، 2020، ص 51.
[73]- من ذلك ما كشفه الفشتالي عن مساهمة أعراب الخلط في معركة وادي المخازن. وقد كوفئت هذه القبائل على مشاركتها بمنحها أراضٍ في منطقة أزغار، وهي المنطقة التي تضم الهضاب المحاذية للأطلس المتوسط. ينظر: عبد العزيزالفشتالي، المصدرالسابق، ص 110 ؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 60؛ الإفراني، المصدر السابق ، ص 174؛ محمد عزوز حكيم، مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، مطبعة الساحل، الرباط، 1989، ص. 84-86؛ شوقي أبو خليل شوقي، وادي المخازن: معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، 1993، ص 54.
[74]- Anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião…, Op.cit, p.83.
[75]- مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 61.
Lucette Valensi, Fables de la mémoire : la Glorieuse Bataille des trois rois, 1578 : Souvenirs d'une grande tuerie chez les chrétiens, les juifs et les musulmans, Chandeigne, Paris, 2009, 383 pp.24-52-53.
[76]- أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ج5، ص 64؛
Comer Plummer III , Roads to Ruin: The War for Morocco in the Sixteenth Century, Lulu Publishing Services, 2015, pp. 232-233,
[77]- محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، الدار البيضاء، 1998، ص. 128-139.
[78]- المصدر نفسه، ص. 139-140.
Ernest Charrière , Négociations de la France dans le levant, T.3, Imprimerie nationale, 1848, Paris, p.722؛ Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome I, 1918, pp.318-319.
حسن أميلي ، "الوجه العسكري لمعركة وادي المخازن من خلال الوثائق"، مجلة المليحة، ع1، يوليوز-1997، ص. 78-77.
[79]- حسن أميلي، المصدر السابق ، ص 78.
[80]- حسن إبراهيم شحاتة، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب، 986 هـ - 1578 م: قراءة تاريخية عبر علاقات المغرب الدولية بالقرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار الثقافة، الدر البيضاء، 1979، ص. ص. 201-202.
[81]- محمد الصغير الإفراني ، المصدر السابق ، ص 140؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 60؛ أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق ، ج5، ص 81.
[82]- عبد العزيزالفشتالي، المصدر السابق ، ص. 39-48؛ أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ج5، ص 81.
[83]- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار إبن حزم، بيروت، 2008، ص 146؛
Henry Castries, Les Sources inédites…, Op.cit, Angleterre, Tome I, p.319.
[84]- Ibid.
[85]- الفاسي، المصدر السابق ، ص. 102-147.
[86]- عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق ، ص 48؛ أحمد بن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1971، ج2، ص. 224-225؛ محمد الصغيرالإفراني، المصدر السابق ، ص 144؛ أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق ، ج5، ص 90.
[87]- أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ج5، ص 83.
[88]- تطرق صاحب "مرآة المحاسن" إلى وفاة دون سيباستيان دون تحديد طريقة وفاته. ينظر: الفاسي ، المصدر السابق ، ص 146.
[89]- Henry Castries, Les Sources inédites…, Op.cit, Angleterre, Tome I, p.319.

[90]- مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص 64؛ الناصري، المصدر السابق ، ج5، ص 81.
[91]- انطونيو دي صالدانيا، المصدر السابق ، ص. 25-30؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ص. 61-62؛ محمد الصغيرالإفراني، المصدر السابق ، ص. 142-143؛ بيير بيرتيي ، معركة وادي المخازن، ترجمة محمد بن عبود وآخرون، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991، ص. 85-86.
[92]- بيير بيرتيي المصدر السابق ، ص. 60-70؛
Fernand Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T. 2, Armand Colin, Paris, 1966, p.63.
[93]- Henri de Castries, Les Sources inédites de l'histoire…, Op.cit, France, Tome I, CVII, p.60 3.
[94] - Virginia Aksan,Ottoman war and warfare 1453–1812, in War In The Early Modern World, 1450-1815, Edited By Jeremy Black, Routledge, London, 1998, pp. 147-175

المصادر

المصادر العربية

1- ابن أبي دينار محمد القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993.
2- أحمد بن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1971.
3- أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5 ، دار الكتب، الدار البيضاء، 1997.
4- أحمد توفيق المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1965.
5- أنطونيو دي صالدانيا ، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشنتوف، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2011.
6- بيير بيرتيي ، معركة وادي المخازن، ترجمة محمد بن عبود وآخرون، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991.
7- حسن إبراهيم شحاتة، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب، 986 هـ - 1578 م: قراءة تاريخية عبر علاقات المغرب الدولية بالقرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار الثقافة، الدر البيضاء، 1979.
8- حسن أميلي ، "الوجه العسكري لمعركة وادي المخازن من خلال الوثائق"، مجلة المليحة، ع1، يوليوز-1997.
9- خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية (1603-1613)، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1997.
10- دييغو دي توريس ، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988.
11- سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
12- شوقي أبو خليل شوقي، وادي المخازن: معركة الملوك الثلاثة – القصر الكبير، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، 1993.
13- عامر محمود علي، تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر- تونس) ، منشورات جامعة دمشق، 2008-2009.
14- عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972.
15- عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006.
16- عبد الله ذيب عبد الله محمود، "التنظيمات الإدارية للمؤسسة العسكرية العثمانية ما بين 1400م حتى 1600م"، دورية كان التاريخية، السنة 15، العدد 57، شتنبر-2022.
17- مارمول كربخال ، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989.
18- عبد الله گنون ، رسائل سعدية، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1954.
19- كاظم عبد نتيش، الدولة السعدية في عهد السلطان عبدالله الغالب1557-1574، محور للدراسات التاريخية ، العدد 18، 2016.

20- محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
21- محمد الصغير الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، ط1، الدار البيضاء، 1998.
22- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار إبن حزم، بيروت، 2008.
23- محمد عزوز حكيم، مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، مطبعة الساحل، الرباط، 1989.
24- موسى المودن ، معركة وادي المخازن بالقصر الكبير–معركة المصير، مجلة ليكسوس، مجلد1، عدد 35، 2020.
25- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1، عيون المقالات، مراكش، 1994.
26- نبيل ملين ، السلطان الشريف: الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2013.

المصادر الاجنبية

1- Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne, Hespéris-Tamuda, Nº XIII, 1972.
2- Autor anónimo, Crónica do Xarife Mulei Mahamet e d'El-Rei D. Sebastião, 1573-1578, Europress, 1987.
3- Autor anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião à África - Crónica de Dom Henrique, Imprensa Nacional-Casa da Moeda, Lisboa, 1978.
4- Comer Plummer III , Roads to Ruin: The War for Morocco in the Sixteenth Century, Lulu Publishing Services, 2015.
5- David Nicolle, The Moors and the Islamic West 7th-15th Centuries AD, Osprey, London, 2001.
6- David Westerlund , Ingvar Svanberg, Islam Outside the Arab World, Routledge, 1999, p. 140. John K. Cox, The History of Serbia, Greenwood Press, London, 2002.
7- Ernest Charrière , Négociations de la France dans le levant, T.3, Imprimerie nationale, , Paris, 1848.
8- Fernand Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T. 2, Armand Colin, Paris, 1966.
9- Fray Bautista, Chronica de la vida y admirables hechos de señor mouley Abdelmelech, Hespéris, T XXIV, 1986.
10- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, 1905.
11- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, CVII, 1905.
12- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome II, 1925.
13- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome I, 1918.
14- Ian Heath, Armies of the Middle Ages, V. 2, Wargames Research Group Publication, Sussex, UK, 1984.
15- James L. Gelvin, The Modern Middle East : A History, Oxford University Press, 2015.
16- James L. Gelvin, The Modern Middle East : A History, Oxford University Press, UK, 2016.
17- Jamil M. Abun-Nasr, A History of the Maghrib in the Islamic Period, Cambridge University Press, New York, 1987.
18- Jeronimo De Mendonca, Jornada de Africa, V.1, Escriptorio, Lisboa, 1904.
19- John K. Cox, The History of Serbia, Greenwood Press, London, 2002.

20- Lucette Valensi, Fables de la mémoire : la Glorieuse Bataille des trois rois, 1578 : Souvenirs d'une grande tuerie chez les chrétiens, les juifs et les musulmans, Chandeigne, Paris, 2009.
21- Luís Costa Sousa, A Batalha de Alcácer Quibir 1578 : Visão ou Delírio de um Rei?, Tribuna. Lisboa, 2009.
22- Mercedes García-Arenal, Los andalusíes en el ejercito sa'dí: un intento de golpe de estado contra Ahmad al-Mansûr al-Dahabí (1578) , Al-qantara, Vol. 5, Fasc. 1-2, 1984.
23- Mesut Uyar, Edward J Erickson, A Military History of the Ottomans, Praeger, 2009.
24- Paul K Davis, 100 Decisive Battles : From Ancient Times to the Present, Oxford University Press, 1999, p.195.
25- Virginia Aksan,Ottoman war and warfare 1453–1812, in War In The Early Modern World, 1450-1815, Edited By Jeremy Black, Routledge, London, 1998.
26- Weston F Cook Jr,The Hundred Years War For Morocco: Gunpowder And The Military Revolution In The Early Modern Muslim World, Westview Press, Boulder, 1994.

المصادر باللغة الانكليزية

1- Ibn Abi Dinar Muhammad al-Qayrawani, Al-Mu'nis fi Akhbar Ifriqiya wa Tunis, 3rd ed., Dar al-Masirah, Beirut, 1993.
2- Ahmad ibn al-Qadi al-Maknasi, Durrat al-Hijal fi Asma' al-Rijal, edited by Muhammad al-Ahmadi Abu al-Nour, Dar al-Turath, Cairo, 1971.
3- Ahmad ibn Khalid al-Nasiri, Al-Istiqsā li-Akhbar Duwal al-Maghrib al-Aqsa, edited by Jaafar al-Nasiri and Muhammad al-Nasiri, vol. 5, Dar al-Kutub, Casablanca, 1997.
4- Ahmad Tawfiq al-Madani Ahmad Tawfiq, The Three Hundred Years' War between Algeria and Spain 1492 – 1792, National Company for Publishing and Distribution, Algeria, 1965.
5- Antonio de Saldanha, News of Ahmed Al-Mansur, Sultan of Morocco, introduction, translation and investigation by Ibrahim Boutaleb, Othman Al-Mansouri and Lotfi Bouchentouf, Moroccan Association for Authorship, Translation and Publishing, Rabat, 2011.
6- Pierre Berthier, The Battle of Wadi Al-Makhazin, translated by Muhammad bin Aboud and others, 1st ed., New Success, Casablanca, 1991.
7- Hassan Ibrahim Shahata, The Battle of Wadi Al-Makhazin in the History of Morocco, 986 AH - 1578 AD: A Historical Reading Through Morocco's International Relations in the Sixteenth Century AD, 1st ed., Dar Al-Thaqafa, Casablanca, 1979.
8- Hassan Amili, "The Military Aspect of the Battle of Wadi Al-Makhazin through Documents," Al-Maliha Magazine, Issue 1, July 1997.
9- Jorge de Henin, Description of the Moroccan Kingdoms (1603-1613), translated by Abdel Wahid Akmir, Publications of the Institute of African Studies, Rabat, 1997.
10- Diego de Torres, History of the Sharifs, translated by Muhammad Hajji and Muhammad Al-Akhdar, Moroccan Association for Authorship, Translation and Publishing, Rabat, 1988.
11- Suhail Saban, Encyclopedic Dictionary of Ottoman Historical Terms, King Fahd National Library, Riyadh, 2000.
12- Shawqi Abu Khalil Shawqi, Wadi al-Makhazin: The Battle of the Three Kings - Al-Qasr al-Kabir, Dar al-Fikr al-Mu'asir and Dar al-Fikr, Beirut and Damascus, 1993.
13- Amer Mahmoud Ali, History of the Modern Maghreb (Algeria-Tunisia), Publications of Damascus University, 2008-2009.
14- Abdel Aziz Al-Fashtali, Manahil Al-Safa fi Ma'athir Mawāliyyin Al-Shurafa, edited by Abdel Karim Karim, Publications of the Ministry of Endowments, Islamic Affairs and Culture, Rabat, 1972.
15- Abdel Karim Karim, Morocco during the Saadi Dynasty, 3rd ed., Publications of the Moroccan Historians Association, Rabat, 2006.

16- Abdullah Dhib Abdullah Mahmoud, "Administrative Organizations of the Ottoman Military Institution between 1400 AD and 1600 AD", Kan Historical Journal, Year 15, Issue 57, September 2022.
17- Marmol Carvajal, Africa, translated by Muhammad Hajji and others, Vol. 2, New Knowledge Press, Rabat, 1988-1989.
18- Abdullah Ganoun, Saadi Letters, Moulay Hassan Institute, Tetouan, 1954.
19- Kazem Abdel Natish, The Saadi State during the Reign of Sultan Abdullah Al-Ghalib 1557-1574, Axis for Historical Studies, Issue 18, 2016.
20- Mohamed Al-Sagheer Al-Ifrani, Nuzhat Al-Hadi bi-Akhbar Muluk Al-Qarn Al-Hadi, edited by Abdel Latif Al-Shadhili, 1st ed., New Success Printing Press, Casablanca, 1998.
21- Mohamed Al-Sagheer Al-Ifrani Mohamed Al-Sagheer, Nuzhat Al-Hadi bi-Akhbar Muluk Al-Qarn Al-Hadi, presented and edited by Abdel Latif Al-Shadhili, 1st ed., Casablanca, 1998.
22- Mohamed Al-Arabi Al-Fasi, Mirat Al-Mahasin min Akhbar Al-Sheikh Abi Al-Mahasin, edited by Mohamed Hamza Al-Kattani, Dar Ibn Hazm, Beirut, 2008.
23- Mohamed Azouz Hakim, Contribution of the Tazrout Ribat in the Battle of Wadi Al-Makhazin, Sahel Printing Press, Rabat, 1989.
24- Moussa Al-Moden, The Battle of Wadi Al-Makhazin in Al-Qasr Al-Kabir - The Battle of Destiny, Lixus Magazine, Volume 1, Issue 35, 2020.
25- Anonymous author, History of the Saadi Takmadart State, edited by Abdel Rahim Benhada, 1st ed., Oyoun Al-Maqalat, Marrakech, 1994.
26-Nabil Melin, The Sharifian Sultan: The Religious and Political Roots of the Makhzen State in Morocco, translated by Abdel Haq Al-Zamouri and Adel Bin Abdullah, Publications of the University Institute for Scientific Research, Rabat, 2013.

27- Andrzej Dziubinski, L'Armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne, Hespéris-Tamuda, Nº XIII, 1972.
28- Autor anónimo, Crónica do Xarife Mulei Mahamet e d'El-Rei D. Sebastião, 1573-1578, Europress, 1987.
29- Autor anónimo, Jornada del-rei Dom Sebastião à África - Crónica de Dom Henrique, Imprensa Nacional-Casa da Moeda, Lisboa, 1978.
30- Comer Plummer III , Roads to Ruin: The War for Morocco in the Sixteenth Century, Lulu Publishing Services, 2015.
31- David Nicolle, The Moors and the Islamic West 7th-15th Centuries AD, Osprey, London, 2001.
32- David Westerlund , Ingvar Svanberg, Islam Outside the Arab World, Routledge, 1999, p. 140. John K. Cox, The History of Serbia, Greenwood Press, London, 2002.
33- Ernest Charrière , Négociations de la France dans le levant, T.3, Imprimerie nationale, , Paris, 1848.
34- Fernand Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T. 2, Armand Colin, Paris, 1966.
35- Fray Bautista, Chronica de la vida y admirables hechos de señor mouley Abdelmelech, Hespéris, T XXIV, 1986.
36- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, 1905.
37- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques de France, Tome I, CVII, 1905.
38- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome II, 1925.
39- Henry Castries, Les Sources inédites de l'histoire du Maroc, Première série. Dynastie saadienne. Archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome I, 1918.

40- Ian Heath, Armies of the Middle Ages, V. 2, Wargames Research Group Publication, Sussex, UK, 1984.
41- James L. Gelvin, The Modern Middle East : A History, Oxford University Press, 2015.
42- James L. Gelvin, The Modern Middle East : A History, Oxford University Press, UK, 2016.
43- Jamil M. Abun-Nasr, A History of the Maghrib in the Islamic Period, Cambridge University Press, New York, 1987.
44- Jeronimo De Mendonca, Jornada de Africa, V.1, Escriptorio, Lisboa, 1904.
45- John K. Cox, The History of Serbia, Greenwood Press, London, 2002.
46- Lucette Valensi, Fables de la mémoire : la Glorieuse Bataille des trois rois, 1578 : Souvenirs d'une grande tuerie chez les chrétiens, les juifs et les musulmans, Chandeigne, Paris, 2009.
47- Luís Costa Sousa, A Batalha de Alcácer Quibir 1578 : Visão ou Delírio de um Rei?, Tribuna. Lisboa, 2009.
48- Mercedes García-Arenal, Los andalusíes en el ejercito sa'dí: un intento de golpe de estado contra Ahmad al-Mansûr al-Dahabí (1578) , Al-qantara, Vol. 5, Fasc. 1-2, 1984.
49- Mesut Uyar, Edward J Erickson, A Military History of the Ottomans, Praeger, 2009.
50- Paul K Davis, 100 Decisive Battles : From Ancient Times to the Present, Oxford University Press, 1999, p.195.
51- Virginia Aksan,Ottoman war and warfare 1453–1812, in War In The Early Modern World, 1450-1815, Edited By Jeremy Black, Routledge, London, 1998.
52- Weston F Cook Jr,The Hundred Years War For Morocco: Gunpowder And The Military Revolution In The Early Modern Muslim World, Westview Press, Boulder, 1994.